الفارسية وعيوب المنطق العربى

للدكتور طه ندا

عيوب المنطق عند العرب كثيرة ، منها اللكنة وهى عجمة فى اللسان وعى ، والألكن الذى لا يقيم العربية من عجمة فى لسانه . وعن المبرد أن اللكنة أن تعترض على كلام المتكلم اللغة الأعجمية . يقال فلان يرتضخ لكنة رومية أو حبشية أو سندية أو ما كانت من لغات العجم(١) .

ويشبه الجاحظ كلام حمير بكلام العجم لما فيه من العجمة والألفاظ المنكرة ، ويسمى هذه العجمة فى لسانهم « طمطمانية » كما أنه يسمى العجمة التى سرت فى منطق أهل الفرات « خلخانية »(٢) .

ويذكر ابن عبد ربه من بين آفات المنطق « الطمطمة » وهى أن يكون الكلام مشبهاً لكلام العجم(٣) .

ومنها اللحن وهو ترك الصواب فى القراءة ، ويتصل فى الأغلب بالإعراب ، وهذه الآفات تدل على انحراف اللسان عن سنن المنطق العربى الصحيح بتأثير لغة أعجمية فى أغلب الأحوال .

وقد كان للغة الفارسية باعتبارها اللغة الأعجمية المقصودة فى هذا البحث دخل فى هذه الانحرافات التى تعترى اللسان ، فالفارسى قد يتعلم العربية ويجيدها ويبرع فيها براعة عظيمة تتمثل فى ما خلفه فى الأدب العربى والدراسات الاسلامية من منثور ومنظوم ، ولكن لسانه العربى الجديد لا يخلو

---

(١) لسان العرب مادة لكن .

(٢) البيان والتبيين ٣/٢١٢ ط. لجنة التأليف .

(٣) العقد الفريد ٢/٤٧٦ ط. لجنة التأليف .

مع ذلك من أثر لغته الأصلية . والعربى قد يتعلم الفارسية فيعلق بلسانه بعض ما فى لغة الأعاجم مما يؤثر فى سلامة منطقه العربى ، أو قد يخالط الأعاجم ويعيش معهم فى مصر واحد فيتأثر لسانه بهذه المخالطة .

ومن أهم العيوب التى أحدثها تزاحم الفارسية والعربية فى لسان واحد اللكنة أو العجمة واللحن . وهذه اللكنة على صور :

فمنها ما يلحق اللهجة فيجرى الكلام على جرس يخالف ما ألفه العرب .

ومنها ما يلحق حروفاً بعينها كتلك الحروف التى لا يحسن الفرس نطقها كالحاء التى تتحول فى لسانهم الى هاء : فيقولون فى مثل حمزة وحرف : همزة وهرف ؛ وكالعين التى تصير همزة فيقولون فى مثل عرب : أرب ، وعشرت بمعنى السرور واللهو : إشرت ؛ وكالقاف التى تخرج من أفنيتهم غيناً فيقولون فى مثل قريب : غريب ؛ وكالضاد التى ينطقونها ظاء ، فيقولون فى مثل قاضى ، وضيا : قاظى ، وظيا .

ومنها ما يتصل بالإعراب وهو العيب المعروف باللحن ، وإن كان يمكن إدراجه فى باب اللكنة لأن الأعاجم ومنهم الفرس لا يعربون .

ومنها ما يدخل العربية من القياسات والصيغ الدخيلة التى لا يعرفها العرب .

ولا غرابة فى أن تؤثر الفارسية فى المنطق العربى كل هذا التأثير ، فقد شارك الفرس فى الحياة الاسلامية مشاركة فعالة فى كل نواحيها ، وكانت طبقة الموالى وأغلبهم من الفرس ذات أثر كبير فى توجيه الحياة العامة للمسلمين ، وكان أثر هؤلاء الفرس فى منطق العرب يزداد كلما انتشرت الفتوح الاسلامية فى المشرق . ذلك أن هذه الحروب كانت تسفر عن انتشار الاسلام انتشاراً سريعاً بين الفرس الذين أسلم عدد كبير منهم عن طواعية واقتناع ، كما قبله عدد آخر ليقوا أنفسهم شر الحرب أو يتخلصوا من دفع الجزية . وكان على هؤلاء المسلمين الجدد أن يتعلموا العربية لأنها لغة دينهم الجديد .

هذا ، فضلا عن الأعداد الكبيرة من الأسرى الذين عادوا مع العرب الفاتحين إلى الأمصار الاسلامية فأسلموا وعاشوا بين أهلها . وهؤلاء الأسرى نشروا لغتهم فى كل مصر حلوا به من أمصار العالم الاسلامى ، وأثرت لغتهم فى ألسنة أهل تلك الأمصار .

ففى البصرة مثلا كان للفرس شأن كبير ، وكان منهم فريق من أهل أصبهان أسلموا وهاجروا إلى البصرة حيث أقاموا وارتفع شأن عدد منهم كعبد الله بن الأصبهانى الذى تنسب اليه دار ابن الأصبهانى بالبصرة ، والذى كان له أربعمائة مملوك . ويذكر البلاذرى أن الجنود الساسانية الذين وجههم يزدجرد الى الأهواز بقيادة سياه الأسوارى لمقاتلة العرب قد رأوا من ظهور الاسلام وعز أهله ما حببهم فيه فبعثوا الى أبى موسى الأشعرى يعرضون عليه أن يدخلوا فى دين الاسلام ويحاربوا مع العرب ضد أعدائهم من العجم ، على شرط أن يؤمنهم العرب وأن يسمحوا لهم بالنزول بحيث أرادوا من البلدان . فأجابهم أبو موسى الى ما طلبوه فاختاروا البصرة حيث نزلوا فى الخطط التى نسبت اليهم (١)وتتابعت بعد ذلك هجرة مقاتلة الفرس الى البصرة (٢) .

وعندما سبى عبد الله بن زياد طائفة من أهل بخارى أسكنهم البصرة ، وظلوا بها حتى بنى الحجاج مدينة واسط فنقل كثيراً منهم اليها(٣) وقد بلغ عدد هؤلاء الأسرى أربعة الآف(٤) . وسكة بخارية زياد معروفة بالبصرة .

ولم تنقطع طوائف التجار والصناع من الفرس عن التردد على البصرة .

وكانت الكوفة أيضاً من الأمصار التى تدفق اليها سيل الفرس وقد نزلها

---

(١) فتوح البلدان : ٣٨٠ ط. مصر ١٩٠١م .

(٢) نفس المصدر : ٣٨١

(٣) نفس المصدر : ٣٨٤

(٤) تاريخ بخارا : للنرشخى ص ٤٦ ط. طهران .

عدد من جند الفرس الذين حاربوا العرب في أول الأمر ثم ما لبثوا أن مالوا اليهم ودخلوا في دينهم وحاربوا الفرس بسيفهم ، وبلغ عدد هؤلاء أربعة الآف شهدوا القادسية مع رستم القائد الفارسي ، فلما قتل وانهزم المجوس رأوا السلامة في انضمامهم للعرب ، وقد أمنهم القائد العربي سعد بن أبي وقاص واشتركوا معه في قتال الفرس وشهدوا فتح المدائن وجلولاء ، فلما فرغوا اختاروا الكوفة مقاماً لهم(١) .

وكانت الكوفة كذلك مركزاً تجارياً مهماً يجتذب اليه عدداً كبيراً من التجار وأهل الصناعات والحرف الذين انضموا الى من سبقهم في الكوفة من الفرس وكونوا بذلك جالية كبيرة سيطرت على هذا المصر ، ونشرت بين أهله وسكانه لغتها الفارسية .

وكانت الحيرة معقلا من معاقل النفوذ الفارسي اذ فيها انتشرت لغتهم وثقافتهم وفنونهم وتجارتهم زمناً طويلا قبل الاسلام وبعده ، ولا غرو فقد كانت تخضع خضوعاً مطلقاً لسلطان الفرس . وقد كون العرب امارتهم في الحيرة منذ عهد ملوك الطوائف(٢) وكانوا يحتفظون بملكهم في هذه المنطقة بتأييد من الفرس . ونشأ بهرام جور الملك الفارسي الساساني بين العرب في الحيرة وتولى تربيته وتهذيبه النعمان بن امرىء القيس حتى أجاد العربية ونظم الشعر العربي . ولا مجال للتفصيل في علاقة عرب الحيرة بالفرس فهذا أمر مشهور . وكان من الطبيعي بعد هذا أن يترك الفرس آثارهم في حياة العرب المقيمين بتلك الامارة .

وفي اليمن كذلك امتد نفوذ الفرس وقد غزتها الجيوش الفارسية أكثر من مرة في عهد الدولة الساسانية لنجدة أهلها وتحريرهم من أيدي الأحباش الذين غزوا اليمن وعاثوا فيها فساداً . وبسبب هذه الحروب أقام الفرس ببلاد

---

(١) فتوح البلدان : للبلاذري ص ٢٨٩

(٢) اليعقوبي : ١/٢٣٦

اليمن زمناً طويلا وتزاوجوا وعرفت سلالتهم فى بلاد اليمن بالأبناء . وظهر منهم فى العهد الاسلامى شخصيات معروفة (١) .

وبالإضافة الى ذلك كانت اليمن مركزاً تجارياً هاماً بين الشرق والغرب .

وكذلك هاجر الفرس الى بلاد الشام . ويروى البلاذرى أن زياداً سير بعضهم اليها بأمر معاويه ، وهم بها يدعون الفرس ، بينما يدعون فى البصرة الأساورة ، وفى الكوفة الحمراء(٢) .

وكان الحجاز أيضاً على صلة مستمرة بالفرس ، فالقوافل التى تحمل البضائع تتجه اليه من بلاد الفرس ، كما كان أهل الحجاز يترددون على أسواق الحيرة للبيع والشراء . وازداد عدد الفرس فى الحجاز تبعاً لازدياد الفتوح فى المشرق ، وورد الى الحجاز عدد كبير من أسرى الحروب وظلت هجرتهم اليه مستمرة . وفى العصر الأموى كان الأمويون يشجعون هجرة الفرس الى الحجاز وعلى الأخص من كان منهم من أهل اللهو كالغناء حتى ازداد عدد المغنين من الفرس فى مدن الحجاز زيادة عظيمة وشاع الغناء بين الناس . وكان الأمويون يعنون هذا ويقصدون من ورائه أن يشيع اللهو والمجون بين أهل الحجاز ليشغلهم ذلك عن المطالبة بالخلافة وانتزاعها من بنى أمية .

وفى العصر العباسى آلت الأمور كلها فترة من الوقت الى يد الفرس ، وتغلغل نفوذهم فى كل صغيرة وكبيرة من أمور الدولة حتى حياة الخليفة الشخصية لم تعد ملكاً خالصاً له . وبلغ الأمر بجعفر بن يحيى البرمكى الى أن يزوج ابنة الخليفة الرشيد دون أن يستأذن أباها فى ذلك(٣) . ولما قام

---

(١) منهم طاووس بن كيسان ، ووهب بن منبه ، ووضاح اليمن وغيرهم .

(٢) فتوح البلدان : ٢٨٩

(٣) الفخرى : ١٨٦

النزاع بين الأخوين الأمين العربى الخالص والمأمون الفارسى الأم ، قال الرقاشى الشاعر يمدح الأمين ويعرض بالمأمون :

لم تلده أمة تعرف فى السوق التجـــارا

لا لاوحد ولا خا ن ولا فى الجرى جـارا

وكان المأمون قد حده أبوه فى جارية من جواريه (١) .

وبعد النزاع بين الأمين العربى الخالص ، والمأمون الفارسى الأم نزاعاً بين العنصرين العربى والفارسى . وقد انتهى هذا النزاع بانتصار المأمون على أخيه الأمين أى بانتصار العنصر الفارسى على العنصر العربى .

وتبع هذا بطبيعة الحال ازدياد انتشار اللغة الفارسية على ألسنة الناس حتى زاحمت العربية يستوى فى ذلك العامة والخاصة .

ومع أن عمر بن الخطاب فى صدر الاسلام كان يخشى على العرب أن تفسد طبيعتهم وتعوج ألسنتهم اذا خالطوا غيرهم من الأعاجم حتى حرم عليهم امتلاك الضياع فى الأقاليم المفتوحة أو الاستقرار بين ظهرانيهم ، وكان لهذا يحضهم على اقامة المعسكرات البعيدة عن مدنهم ، إلا أن هذا الاجراء لم يحفظ العرب من التأثر بهؤلاء الأعاجم اذ سرعان ما تحولت هذه المعسكرات العربية الصميمة الى مدن ، وسرعان ما امتلأت هذه المدن بالعناصر الفارسية التى أذاعت حضارتها ولغتها . ولما رأى علماء اللغة ما أدى اليه هذا الاختلاط من التأثير فى ألسنة العرب اتخذوا من ناحيتهم اجراءات أخرى لحماية لغتهم العربية .

فكانوا ، مثلا ، لا يعترفون بلغة أهل الحضر لأنهم يخالطون الأعاجم مما يؤثر فى صحة لغتهم وسلامة ألسنتهم . وكانوا يترددون الى البوادى حيث

---

(١) المعارف : لابن قتيبه ص ١٦٩ ، ط. الاسلامية ١٩٣٤

اللغة نقية لم تؤثر فيها عجمة الأعاجم . ورأينا بعض علماء اللغة يزن ما يقدم اليه منها ليعرف صحيحه من فاسده . وكان سيبويه يقول : « أخبرنى من أثق بعربيته ... الخ »[1] فهو بهذا يفرق بين عربية نقية لا تشوبها شائبة ولسان عربى سليم ، وبين عربية لحقتها شوائب العجمة ولسان اعترته آفات المنطق لتأثره ببعض لغات العجم .

ويذكر الجاحظ أن النحويين وعلماء اللغة ينصرفون عن كلام الأعرابى اذا خالط أهل المدن . ويعلل السبب فى هذا فيقول : « لأن ذلك يدل على طول إقامته فى الدار التى تفسد اللغة وتنقص البيان لأن تلك اللغة (يعنى الفصحى) إنما انقادت واستوت واطردت وتكاملت بالخصال التى اجتمعت لها فى تلك الجزيرة ، وفى تلك الجبرة ، ولفقد الحظاً من جميع الأمم » . ويضرب لنا مثلا بزيد بن كثوة وكيف كان لسانه نقياً يوم قدم البصرة ثم أخذ يفقد نقاءه باقامته فيها فيقول : « ولقد كان بين زيد بن كثوة يوم قدم علينا البصرة وبينه يوم مات بون بعيد ، على أنه قد كان وضع منزله فى آخر موضع الفصاحة وأول موضع العجمة . وكان لا ينفك من رواة ومذاكرين »[2] .

ومن الوسائل التى اصطنعوها لحماية لغتهم اتخاذهم النحو . وقد تعلم الموالى العربية ليتفاهموا بها كما أوغلوا فى دراسة العلوم الاسلامية ووسيلتها اجادة العربية . إلا أنهم رغم هذا كانوا يقعون فى الخطأ واللحن ، وامتد هذا اللحن منهم الى العرب أنفسهم حتى أزعج ذلك علماءهم ، وحملهم على التفكير فى وضع علم النحو . وقد عبر الشاعر عن أهمية علم النحو بقوله :

النحو يبسط من لسان الألكن ... والمرء تكرمه اذا لم يلحن

واذا طلبت من العلوم أجلها ... فأجلها منها مقيم الألسن[3]

---

(1) المعارف : ص ٢٢٧

(2) البيان والتبيين : ١/١٦٣

(3) الكامل : للمبرد ص ٢٣٩ طـ ليبزج .

واذا كان هؤلاء الموالى هم الذين أفسدوا بلسانهم « فن الإعراب » فقد كانوا فى نفس الوقت السبب فى وضع « علم النحو » ، كما كانوا السبب فى وضع غيره من علوم العربية كالبلاغة .

ولكن هل أدت هذه الوسائل والأساليب الى حماية العربية من تأثيرات الفارسية حماية تامة ؟ وهل تحقق لعلماء اللغة بعد ذلك ما رجوه من نقاء اللغة وسلامة الألسنة ؟ لم يتحقق هذا بطبيعة الحال لأن اللغات كغيرها من الكائنات الحية لا يمكن أن تعيش فى معزل عن غيرها فهى تؤثر وتتأثر . وهذا من دلائل الحيوية والتجدد فيها . وقد فطن علماء اللغة الى هذه الحقيقة البدهية وآمنوا بأن السدود المحكمة التى تقام بين اللغات لابد أن يعتريها الخلل وتظهر فيها الثقوب والمنافذ الموصلة خاصة اذا كان أصحاب هذه اللغات ممن يعيشون فى مجتمع واحد كالعرب والفرس . ولهذا نراهم بعد أن سلموا بمبدأ التأثر باللغات الأجنبى كالفارسية يعمدون الى اجراء جديد لحماية العربية مما قد يدخلها من لغة الفرس حتى يصير العربى الأصيل واضحاً ، والأعجمى الدخيل واضحاً ، ويعرف عند الناس أصل هذا وأصل هذا فلا يختلط الأعجمى بالعربى اختلاطاً يؤدى الى خفاء أصله وتوهم عربيته . ولهذا نصح أبو بكر السراج من يتصدى للاشتقاق اذ حذره أن يشتق من لغة العرب لشىء من لغة العجم فيكون بمنزلة من أدعى أن الطير ولد الحوت (١) .

ومن المحاولات التى بذلوها فى هذه السبيل ما نراه مثلا فى مستهل كتاب المعرب للجواليقى « باب معرفة مذاهب العرب فى استعمال الأعجمى » ، وخلاصة ما جاء فى هذا الباب أن العرب احتاجوا الى كثير من الكلمات الأعجمية واستعملوها ولكنهم أجروا فيها بعض التعديلات وفق قواعد معينة ، قبل استعمالها ، تجنباً للخلط .

فهم مثلا يحتاجون الى التغيير فى بعض الأحرف إما بالابدال أو بالنقصان

---

(١) المعرب للجواليقى : ص ٣ ، ط. دار الكتب ١٣٦١هـ .

أو بالزيادة . وقد يقع التغيير فى الحركات كتحريك ساكن أو تسكين متحرك .

وهذه التغييرات لها قواعد وضوابط وتكون عادة فيما يتشابه ويتقارب .

فحرف الجاف الفارسى يمكن أن يقلب جيما للتشابه بين الحرفين ، كما فى الجريز وهو الخداع الخبيث أصله كـــريز بالجاف الفارسية .

والجرز وهو عمود من حديد يتخذ للقتال معرب كرز(١) .

والجرة معرب كرة .

والجزاف وهو الحدس والتخمين تعريب كزاف .

والجاموس معرب كاوميش .

والجوز معرب كوز .

فحرف الجيم فى هذه الكلمات ونحوها منقلب عن الجاف الفارسية .

وحرف الهاء يقلب عادة جيما . فيقولون مثلا فى :

كربه بمعنى حانوت « كربج » .

وكوسه بمعنى أمرد « كوسج » .

وموزه بمعنى خف « موزج » .

وحرف الباء المثلثة ينقلب عندهم فاء فيقولون فى پرند وهو الحرير « فرند » ، وپالوده وهى حلواء تصنع من الدقيق والماء والعسل « فالوذج » ... الخ ... ... الخ .

ومع هذه القواعد التى اصطلحوا عليها لم يسلموا من التخليط ولم يسلم لهم الأمر على الدوام فيما ليس من كلامهم .

---

(١) ليس حرف الجاف بين حروف المطبعة فنتخذها من الكاف الثائمة بديلا عنه .

كل هذه المحاولات التى أشرنا اليها لم تنفع فى حماية اللغة العربية واللسان العربي حماية تامة من التأثر باللغة الفارسية .

وكان العرب يعجبون بحضارة الفرس ويقتبسون منها فى كل شئون حياتهم . وبلغ اعجاب ابن مياده بالفرس الى أن يصل نسبه بهم طلباً للرفعة وعلو الذكر ، فزعم أن أمه من كرائم الفارسيات ؛ ولكن الحكم الخضرى دحض زعمه ورد عليه :

وما لك فيهم من أب ذى دسيعة ولا ولدتك المحصنات الكرائم
وما أنت الا عبدهم ان تربهم من الدهر يوماً تستريك المغانم

وبهذا وقفه عند حده ، وكشف عن وضاعة أصله ؛ ولم تسر فى الناس دعواه التى زعمها بالانتساب الى الفرس(١) .

فاذا اتصل الأمر باللغة الفارسية تغير الموقف . فالعربى يعتز بلغته ويفخر بها ، ويعيب من يلحن فيها ، ويحتقر عجمة الأعجمى ولكنته . وكان الأصمعى يحكم على الرجل بالنبل اذا سمعه يعرب ، ويستصغره اذا سمعه فى مصر عربى يتكلم بالفارسية(٢) .

لكن الأصمعى وغيره لم يستطيعوا أن يقفوا فى وجه الفارسية ويحولوا بينها وبين التسلل الى الألسنة .

ففى البصرة مثلا كانت الفارسية شائعة شيوعاً عظيما حتى وصلت الى الصبية الذين كانوا يفهمونها ويتكلمون بها على نحو دارج . وقصة الشاعر يزيد بن المفرغ مع عبد الله بن زياد تدل على هذا ، فانه حين قبض عليه سقاه مسهلا شديداً وأخذ يطوف به فى أنحاء البصرة . وكان يزيد يسلح طول الطريق والصبيان يتبعونه ويعبثون به ويقولون له بالفارسية « اين چيست » أى « ما هذا ؟ » فيجيبهم :

(١) الأغانى : ص ٢٦٢ ج ٢ ، ط. دار الكتب .
(٢) الكامل : للمبرد .

آبست نبيد است عصارات زبيب است

سميه روسبيد است

أى أنه ماء ونبيذ ، وعصارات زبيب ، وسميه بيضاء الوجه . وتفصيل القصة فى كتب التاريخ والأدب(١) .

ولفشو الفارسية فى العراق عاب الجاحظ لغة أهله وسماها لخلخانية الفرات أى عجمة أهل الفرات فى المنطق(٢) .

ومن الآفات التى ظهرت فى لغة أهل البصرة من تأثير الفارسية طريقتهم فى تسمية الأماكن والخطط . ومن اصطلاحهم أن يزيدوا فى اسم القرية التى تنسب الى رجل الفاً ونوناً نحو قولهم :

طلحتان — نسبة الى طلحة بن أبى رافع مولى طلحة بن عبيد الله .

ومهلبان — نسبة الى المهلب بن أبى صفرة .

وجبيران — قرية لجبير بن حية .

وخلفان — قطيعة لعبد الله بن خلف الخزاعى .

وروادان — لرواد بن أبى بكرة .

ويذكر ياقوت أن عثمان أقطع أخاه حفصاً « حفصان » وأخاه أمية « أميان » وأخاه الحكم « حكمان » وأخاه المغيرة « مغيرتان » ... الخ (٣) .

والحقيقة أن هذه الألف والنون هما علامة الجمع فى الفارسية للعاقل ، فكأنهم يريدون « بطلحتان » ، « مهلبان » ، « خلفان » ، « حفصان » ، « أميان » ... الخ خطة آل طلحة ، وخطة آل مهلب ، وقطيعة آل خلف ... الخ .

---

(١) كالأغانى ج ١٧ ، والبيان والتبيين ج ٢ ص ١٤٣ وغيرهما .

(٢) البيان والتبيين : ٣/٢١٢

(٣) معجم البلدان : مادة البصرة .

ومن الأسماء الفارسية التى شاعت عندهم نهر ماسوران ، وكان فيه كما يقول البلاذرى رجل شرير يسعى بالناس ويبحث عليهم فنسب النهر اليه . والماسور بالفارسية الجرير الشرير(١) .

و « درجاه جنك » من أموال ثقيف وانما قيل له ذلك لمنازعات كانت فيه ، وجنك بالفارسية صخب(٢) .

و « شهارسوج » أو بالفارسية « جهارسو » ومعناه بالعربية أربع جهات وهو محلة بالبصرة (٣) ويسمونها أيضاً مربعة وهى السوق التى تقام على تقاطع أربع طرق .

ولما تزوج شيرويه الأسوارى أم عبيد الله بن زياد « مرجانه » بنى لها قصراً فيه أبواب كثيرة فسمى « هزاردر » ويقال انه سمى كذلك لأن شيرويه جعل فى القصر ألف باب(٤) .

وأهل الكوفة كذلك تشيع فى لسانهم الفارسية فيسمون الحوك ، وهو ريحانة معروفة « الباذروج » ، ويسمون السوق « وازار » وهى فارسية كما يسمون القثاء « خياراً » والخيار بالفارسية ، ويسمون المسحاة « بال » وهى فارسية ، ويبدى بدلا من يجذوم(٥) .

وشاعت الفارسية كذلك فى الحجاز بين أهل المدينة . وقد شرحنا ظروف ذلك فيما سبق . ولهذا يقول الجاحظ : « ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس من قديم الدهر علقوا بألفاظ من الفاظهم ولذلك يسمون البطيخ الجربز ، ويسمون السميط الرزدق ، ويسمون المصوص المزور(٦) .

---

(١) فتوح البلدان : ٣٧٤

(٢) نفس المصدر : ٣٦٩

(٣) معجم البلدان .

(٤) فتوح البلدان : ٣٦٧

(٥) البيان والتبين : ص ٢٠/١ وبالفارسية ويدى ، ويعنى مرض الجذام .

(٦) البيان والتبين : ١٩/١

ومما يدل على انتشار الفارسية فى العراق بصفة خاصة على عهد الدولة الأموية أن أهل الشام فى حربهم للمختار وشيعته كانوا ينظرون اليهم على أنهم « عبيد اباق تركوا الاسلام وخرجوا منه ليست لهم تقية ولا ينطقون بالعربية »(١) . ولما بلغ أتباع المختار ما لقى اخوانهم من الهزيمة فى حربهم مع ابن شميط لم يصدقوا مبلغهم وقالوا بالفارسية « اين بار دروغ كفت »(٢) أى أنه كذب هذه المرة .

ومن مظاهر شيوع الفارسية ما يذكره الجاحظ من أن الأعرابى قد يتملح بأن يدخل فى شعره شيئاً من كلام الفارسية كقول العيانى للرشيد فى القصيدة التى مدحه بها :

من يلقه من بطل مسرند فى زعفة محكمة بالسرد
تجول بين رأسه والكرد

والكرد هو العنق . وفيها يقول أيضاً :

لما هوى بين غياض الأسد وصار فى كف المزبر الورد
آلى يذوق الدهر آب سرد

أى حلف لا يذوق الماء البارد أبداً : « آب : ماء ، سرد : بارد » .

وكقول الآخر :

ووطئى وقع الأسنة والقنا وكافر كوبات لها عجر قند
بأيدى رجال ما كلامى كلامهم يسمونني مرداً وما أنا بالمرد(٣)

(كافركوبات : أداة خشبية من أدوات القتال ، كانت تقاتل بها فرقة عرفت باسم الخشبية ، والمرد الرجل) .

---

(١) الطبرى : ٤/٥١٦
(٢) نفس المصدر والجزء : ٥٦٢
(٣) البيان والتبيين : ١/١٤٢

ومما يشبه هذا قول أسود بن أبي كريمة :

لزم الغـــرام ثـوبي بكرة في يوم سبت
فتمايلت عليهـــم ميـل زنـكي بمـــتي
قد حـا الداذي صرفـا أو عقـاراً باخـــت
ثم كفتم دور بـاد ويحكم آن خركفت
ان جلدي دبغتـــه أهل صنعـاء بجفـت
وأبو عمـــرة عنـدي آن كور بد نمـت
جالس اندر مكناد أيا عمـد بهشـت(١)

وهو شعر يخرج عن العربية لكثرة العجمة فيه .

وفي المعرب للجواليقي أن رؤبة بن العجاج ، والفصحاء كالأعشى وغيره قد يدخلون في شعرهم من كلام العجم للقافية أو للطرفة والتفكه . ومن ذلك قول العدوى :

أنا العربي البـــاك

(باك بالباء المثلثة النقي من العيوب) .

وقول العجاج :

كما رأيت في الملأ البردجـــا

وهم السبي . ويقال لهم بالفارسية « برده »(٢) .

وكانت الفارسية مستولة الى حد كبير عن الكنة التي أصابت الخواص والعوام على السواء . ومن أمثلة لكنة العوام ما يروى عن أبي الجهير الخراساني النخاس حين قال له الحجاج : « أتبيع الدواب المعيبة من جند

(١) البيان والتبيين : ١٤٤
(٢) المعرب : ٩

السلطان » قال : « شريكانا فى هوازها ، وشريكانا فى مدايها ، وكما تجيء تكون » . فلم يفهم الحجاج شيئاً من لكنة هذا الأعجمى حتى فسرت له ، وكان يريد أن يقول : « شركاؤنا بالأهواز والمدائن يبعثون الينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها » (١) . وهنا تظهر أسباب اللكنة فى قول هذا النخاس فانه لم يستطع أن يجمع « شريك » جمعاً عربياً فقاسها على القاعدة الفارسية فى جمع العاقل وأضاف الى الكلمة « ان » فصارت « شريكان » بمعنى شركاء . وكذلك فعل فى الأهواز والمدائن فانه قاسها فى جمعها على القاعدة الفارسية لجمع غير العاقل وأضاف اليها « ها » . وهذه لكنة ترجع الى استخدام أنواع من الصيغ والقياس لا يستخدمها العرب ، جهلا بالقاعدة العربية المتبعة فى مثل هذه الحال .

ومن أمثلة اللكنة بين العوام ما قاله فيل مولى زياد ذات مرة وكان بعضهم قد أهدى زياداً حمار وحش : « أهدوا لنا همار وهش » (٢) وهذه لكنة ترد الى تعذر نطق بعض الحروف العربية .

ومن اللكنة أيضاً ما روى عن أم نوح وبلال ابنى جرير بن الخطفى حين قالت لولدها يوماً : « يا نوح جردان دخل فى عجان أمك » وكان الجرذ قد أكل من عجينها (٣) . وهى لكنة مرجعها الخلط بين الألفاظ المتشابهة والجهل بالفروق اللفظية والمعنوية بينها .

وكان شعر ابن الحجاج صورة لما يضمه لسان العامة من تبذل . وقد دعاه هذا التبذل الى أن ينقل الى شعره لغة العامة بما تضمه من انحطاط الفكرة ، وعجمة اللفظة . وحسبك أن تقرأ حديثه عن غلامه من قصيدته التى قالها فى فتح قلعة أردمشت :

---

(١) البيان والتبيين : ١/١٦١

(٢) نفس المصدر والجزء : ٧٣

(٣) البيان والتبيين : ٢/٢١٣

سقانى كأسه سحـــراً بوقت وكان صبوحنا فى يوم سبت

غلام أعجمى فيـه ظـــرف وحذق بالتلطف والتـأنى

سقانى دو وسا وازددت منها على سكرى وصبحنى بهفت

... الخ هذه القصيدة التى تمثل خير تمثيل كل ما فى لغة العوام من تبذل سوقى ، ولفظ أعجمى (١). والى جانب ما فيها من أفكار وتشبيهات ساقطة نراها قد ضمت فى أبياتها القليلة وعددها تسعة ، كثيراً من الألفاظ الأعجمية التى كانت شائعة فى ذلك الوقت فى لغة العوام مثل دو ، هفت ، بروا ، خوى ، خانى ، جفت ، زادرخت ، بخت ، دوديك . تيمردم ، درست .

ومن مظاهر هذه العجمة اللفظية فى قصائده أمثال :

بلور — ص ٦٧ س ١٥

بيكار — بمعنى عاجز ٦٩ س ١٦

دورق — ٧٠ س ١٨

اللقلق — وهو طائر ٧٠ س ١٩

هم .. بمعنى أيضاً ٧٣ س ٢

دوكشاب — بمعنى ليلة أمس ٧٣ س ١٦

دوغباج — وهو اللبن الحامض ٧٣ س ١٦

زيرباج — وهو مرق اللحم ٧٣ س ١٦

الكنادر — جمع كندر وهو وعاء يصنع من الطين ٧٥ س ٢

تمكسود — وهو اللحم المملح ٧٦ س ١٥

السكباج — وهو مرق يعمل من اللحم والخل ٣٩ س ١٩

الكواشك — جمع كوشك بمعنى البيت الصغير ٧٨ س ٤

---

(١) يتيمة الدهر : ٣/٩١ ط. حجازى .

الزرفين – حلقة الباب أو مزلاجه ٥٠ س ٨

خركوش – وهو الأرنب ٥٧ س ١٥

ولا تدل وفرة هذه الألفاظ الأعجمية فى شعر ابن الحجاج على علم وثيق بالفارسية لأنها كلها مما شاع فى لغة العوام على عصره وكساها بالعجمة والمكنة وأبعدها عن الفصحى . وليس فيما أشرنا اليه من شعر ابن الحجاج ما يصله بالشعر سوى الوزن والقافية . ونستطيع اذا جردناه منهما أن نعتبره من لغة العوام فكرة ولفظاً . ومما يؤيد عامية هذه الألفاظ الأعجمية ، ويؤيد فى الوقت نفسه جهل الشاعر بالفارسية أن كثيراً من هذه الألفاظ محرف عن أصله الفارسى كما فى سا . بروا وأن صيغ الجمع فى بعضها صيغ عربية لا تعرفها الفارسية كالكنادر ، الكواشك . يضاف الى هذا كله أن ابن سكرة الهاشمى ، معاصر ابن الحجاج ، كان يذهب فى شعره نفس المذهب من حيث المعانى والألفاظ ، ومع ذلك يصرح فى بعض أشعاره بأنه لا يفهم الفارسية ، وأنه لهذا السبب لا يستطيع التفاهم مع غلامه وذلك حيث يقول :

إنى بليت بشادن غنـــج	حســن الشمائل وافر الكفـل
يبغى الدراهم وهى معوزة	عندى فحيل غير متصـل
مستعجم الألفاظ أجهل ما	يبدى ويجهل فهمه غـــزلى
واذا مدحت فليس يفهمـه	والفارسية ليس من عمـلى (١)

وهذا قاطع فى جهله بالفارسية ، وان ما يرد منها فى شعره انما هو من لغة العوام .

وكان عبيد الله بن زياد والى العراق ألكن وانما أتته هذه المكنة لأنه نشأ بين فرس البصرة عند شيرويه الأسوارى زوج أمه مرجانه . وكان من لكنته لا يستطيع نطق الخاء فيجعلها هاء . قال لمالىء بن قبيصة : « أهروري ساثر

(١) يتيمة الدهر : ٣/١٠

اليوم » يريد أحرورى (١) كما كان يقلب القاف كافاً . ومثله فى ذلك أبو مسلم صاحب الدعوة الذى كان يقول « كلت لك » يقصد « قلت لك » رغم حسن الفاظه وجودة معانيه (٢) .

وامتدت لكنة عبيد الله من الحروف والألفاظ الى التعبيرات والأساليب حتى أنه قال مرة : « افتحوا سيوفكم » يريد سلوا سيوفكم . ولهذا قال يزيد ابن مفرغ يهجوه لهذه اللكنة :

ويوم فتحت سيفك من بعيد أضعت وكل أمرك للضياع (٣)

ومن أقبح ما وقع فيه من اللكنة قوله لسويد بن منجوف « اجلس على است الأرض » ، قال سويد : « ما كنت أحسب أن للأرض استاً » (٤) ومع أن زياداً أباه كان خطيباً مفوهاً الا أن ابنه عبيد الله نشأ بهذه اللكنة لمخالطته الأعاجم مما دعا معاويه الى نصح زياد ليقوم لسان ابنه .

ومع ما بلغه الخاصة من الأعاجم من براعة فى اللغة العربية والعلوم الاسلامية الا أن لسانهم لم يسلم ، دائماً ، من عيوب المنطق .

وكان أبو عبيده معمر بن المثنى على عظيم علمه باللغة وأخبار العرب وأيامهم ربما لم يقم البيت اذا أنشده حتى يكسره (٥) .

ومن أمثلة هؤلاء شاعر معروف هو زياد بن سلمى أبو أمامه المعروف بزياد الأعجم لغلبة العجمة على لسانه ، ويقال انه ولد ونشأ بأصبهان ثم انتقل بعد ذلك الى خراسان وظل بها حتى مات .

---

(١) البيان والتبيين : ١/٧٢
(٢) نفس المصدر والجزء : ٧٣
(٣) نفس المصدر : ٢/٢١٠
(٤) البيان والتبيين : ٢/٢١١
(٥) المعارف : ٢٣٥

ومن حكايات لكنته أنه أرسل غلاماً له في حاجة فأبطأ عليه ، فلما عاد سأله : « منذ لدن دأوتك الى أن قلت لي ما كنت تصنع » يريد بذلك : « منذ لدن دعوتك الى أن قلت لبيك ماذا كنت تصنع » وهي الفاظ في نهاية القبح واللكنة كما وصفها صاحب الأغاني(١) .

ولما رثى زياد الأعجم المغيرة بن المهلب بقوله :

إن الشجاعة والسماحة ضمنا قبراً بمرو على الطريق الواضح

فاذا مررت بقبره فاعقر به كوم الهجان وكل طرف سابح

قال له يزيد بن المهلب : يا أبا أمامه أفعقرت أنت عنده ؟ قال : كنت على بيت الحمار -- يريد الحمار(٢) .

ومن أمثلة لكنة زياد ما أنشده أبو عبيدة من قوله :

فتى زاده السلطان في الود رفعة إذا غير السلطان كل خليل

قال فكان يجعل السين شيناً ، والطاء تاء ، فيقول : « فتى زاده الشلتان » (٣) ولهذا العيب في منطقه أهداه المهلب غلاماً يجيد الالقاء .

ولشيوع الفارسية في العصور الاسلامية المختلفة شاعت الألقاب الفارسية بين الناس . فالشاعر الأموي علي بن خليل كان يلقب بالبردخت وهو من بني ضبة . وكان معاصراً لجرير وطلب منه أن يهاجيه ، ولما سأله جرير عن معنى البردخت قال الفارغ بالفارسية . فرفض جرير مهاجاته . وأبى أن يشغل نفسه بمهاجاة فارغ (٤) .

ويزيد بن أبي يزيد المحدث البصري كان يلقب « الرشك » وهو من رشك الفارسية بمعنى الغيرة ، وانما سمي كذلك لأنه كان غيوراً (٥) .

(١) الأغاني : ١٤/٩٩ ط. الساسي .
(٢) نفس المصدر .
(٣) البيان والتبيين : ١/٧١
(٤) الشعر والشعراء : ٤٤٧ ط. ليدن .
(٥) الانساب للسمعاني : ٢٥٣

ولقب معاويه الزيادى المحدث « الخشنشار » كما لقب بهذا الاسم أيضاً غلام أمرد جميل الوجه كان بكر بن بكار يتعشقه . ولابن مناذر شعر فى بكر بن بكار وغلامه الخشنشار رواه صاحب الأغانى (١) والخشنشار من طير الماء .

ولابن مناذر قصيدة فى هجاء محمد بن عبد الوهاب يقول فيها :

إذا أنت تعلقت بحبل من أبى الصلت
تعلقت بحبل وا هن القوة منبت
وقال الشيخ سرجويه به داء المرء من تحت

وكان سرجويه أعجمياً لا يفصح فلما بلغه هذا الكلام جاء الى محمد ابن عبد الوهاب فى مجلسه يبرأ مما قيل منسوباً اليه ، ولم تسعفه عربيته فقال : «بركست من نكفتم آن پسر مناذر كفت داء المرء من تحت». وقد أثارت لهجته وعجمته ضحك الحاضرين (٢) .

وشاعت الفارسية بين سكان الأقاليم الاسلامية على اختلاف أجناسهم وأديانهم . وعلى الرغم من أن جبريل بن بختيشوع كان سريانياً الا أنه كان يجيد الفارسية . ولما عاد الفضل بن سهل وهو محموم وجد معه القرآن فسأله : تشون (چون) بينى نامه ايزد ؟ أى كيف تجد كتاب الله . فأجابه الفضل : خش (خوش) فتشون (وچون) كليلة فلمنه (ودمنه) أى حسن مثل كليله ودمنه . وكان آل بختيشوع جميعاً يجيدون الفارسية رغم أنهم من السريان ، فكان جبريل بن بختيشوع مثلا يجيدها (٣) وكان جبريل بن عبد الله بن بختيشوع عالماً باللغة الفارسية (٤) . وكان جورجيس بن جبريل اذا وصل الى الحضرة دعا للمنصور بالفارسية والعربية (٥) .

(١) الأغانى : ١٧/١٧ ط. الساسى
(٢) الأغانى : ١٧/١٨ ط. الساسى .
(٣) طبقات الأطباء : ١٣١ ط. الوهبية .
(٤) نفس المصدر : ١٤٥
(٥) نفس المصدر : ١٢٤

وممن أصابتهم آفة المنطق أبو حنيفه فانه كان ، على عظيم قدره فى الفقه ، لحاناً . سأله رجل : ما تقول فى رجل تناول صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله أتقيده به ؟ قال : لا . ولو ضربه بأبا قبيس (١) .

ومنهم كذلك بشر المريسى نسبة الى مريس قرية بمصر (٢) وهو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبى كريمة المريسى مولى زيد بن الخطاب من أصحاب الرأى ، أخذ الفقه عن أبى يوسف القاضى . كان يقول لجلسائه : قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهشوها (٣) .

وهكذا ترى أن الفارسية قد تركت أثرها وأدخلت الضيم على العربية فى ألسنة الناس على اختلاف أجناسهم وأديانهم اللهم الا القلة التى استقام لسانها فى اللغتين على السواء . ومن هذه القلة موسى بن سيار الأسوارى الذى كانت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربية ، وكان فى هذا ، كما يقول الجاحظ ، من أعاجيب الدنيا (٤) .

وليس على الأعاجيب يقاس .

(١) العقد الفريد : ٢/٤٨٢

(٢) السمعانى .

(٣) العقد الفريد : ٢/٤٨٢

(٤) البيان والتبيين : ١/٢٦٨